يرفعه إلا عمر بن علي المقدمي . وقال ابن أبي الدنيا حدثني سليمان بن أبي مسيح قال أنشدني محمد بن الحكم لأعشى همدان.

فما تزود مما كان يجمعه ... سوى حنوط غداة البين مع خرق
وغير نفحة أعواد تشب له ... وقل ذلك من زاد لمنطلق
لا تأسين على شيء فكل فتى ... إلى منيته سيار في عنق
وكل من ظن أن الموت يخطئه ... معلل بأعاليل من الحمق
بأيما بلدة تقدر منيته ... إلا يسير إليها طائعا يبق

أورده الحافظ ابن عساكر رحمه الله في ترجمة عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث وهو أعشى همدان وكان الشعبي زوج أخته وهو مزوج بأخت الشعبي أيضا ، وقد كان ممن طلب العلم والفقه ثم عدل إلى صناعة الشعر فعرف به ، وقد روى ابن ماجه عن أحمد بن ثابت وعمر بن شبة كلاهما عن عمر بن عكرمة مرفوعا إذا كان أجل أحدكم بأرض أتت له إليها حاجة فإذ بلغ أقصى أثره قبضه الله عز وجل فتقول الأرض يوم القيامة : يارب هذا ما أودعتني قال الطبراني حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أيوب عن أبي المليح عن أسامة أن رسول الله ﷺ قال «ما جعل الله منية عبد بأرض إلا جعل له إليها حاجة» . آخر تفسير سورة لقمان ، والحمد لله رب العالمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ تفسير سورة الم السجدة ، وهي مكية ﴾

روى البخاري في كتاب الجمعة حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن سعد بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج عن أبي هريرة قال . كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة (الم تنزيل) السجدة و (هل أتى على الإنسان) ورواه مسلم أيضا من حديث سفيان الثوري به . وقال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر أخبرنا الحسن بن صالح عن ليث عن أبي الزبير عن جابر قال كان النبي ﷺ لاينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك ، تفرد به أحمد .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ الم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ههنا ، وقوله (تنزيل الكتاب لاريب فيه) أي لا شك فيه ولا مرية أنه منزل (من رب العالمين) ثم قال تعالى مخبراً عن المشركين (أم يقولون افتراه) بل يقولون افتراه أي اختلقه من تلقاء نفسه (بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون) أي يتبعون الحق .

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ * ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

يخبر تعالى أنه خالق للأشياء محلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ، وقد تقدم الكلام على ذلك (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع) أي بل هو المالك لأزمة الأمور الخالق لكل شيء المدبر لكل شيء القادر على كل شيء فلا ولي لخلقه سواه ، ولا شفيع إلا من بعد إذنه (أفلا تتذكرون) يعني أيها العابدون

غيره المتوكلون على من عداه تعالى وتقدس وتنزه أن يكون له نظير أو شريك أو وزير أو نديد أو عديل ، لا إله إلا هو ولا رب سواه ، وقد أورد النسائى ههنا حديثا فقال : حدثنا إبراهيم بن يعقوب حدثنى محمد بن الصباح حدثنا أبو عبيدة الحداد حدثنا الأخضر بن عجلان عن أبى جريج المكى عن عطاء عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ أخذ بيدى فقال : « إن الله خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش فى اليوم السابع ، فخلق التربة يوم السبت ، والجبال يوم الأحد ، والشجر يوم الاثنين ، والمكروه يوم الثلاثاء ، والنور يوم الأربعاء ، والدواب يوم الخميس ، وآدم يوم الجمعة فى آخر ساعة من النهار بعد العصر ، وخلقه من أديم الأرض أحمرها وأسودها وطيبها وخبيثها ، من أجل ذلك جعل الله من بنى آدم الطيب والخبيث » هكذا أورد هذا الحديث إسنادا ومتنا ، وقد أخرج مسلم والنسائى أيضا من حديث حجاج بن محمد الأعور عن ابن جريج عن إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع عن أبى هريرة عن النبى ﷺ بنحو من هذا السياق . وقد علله البخارى فى كتاب التاريخ الكبير فقال وقال بعضهم أبو هريرة عن كعب الأحبار وهو أصح وكذا علله غير واحد من الحفاظ والله أعلم ، وقوله تعالى (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه) أى يتنزل أمره من أعلى السماوات إلى أقصى تخوم الأرض السابعة كما قال تعالى (الله الذى خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن) الآية وترفع الأعمال إلى ديوانها فوق سماء الدنيا ومسافة ما بينها وبين الأرض مسيرة خمسمائة سنة وسمك السماء خمسمائة سنة . وقال مجاهد وقتادة والضحاك النزول من الملك فى مسيرة خمسمائة عام وصعوده فى مسيرة خمسمائة عام ولكنه يقطعها فى طرفة عين ولهذا قال تعالى (فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون * ذلك عالم الغيب والشهادة) أى المدبر لهذه الأمور الذى هو شهيد على أعمال عباده يرفع إليه جليلها وحقيرها وصغيرها وكبيرها ، هو العزيز الذى قد عز كل شىء فقهره وغلبه ودانت له العباد والرقاب الرحيم بعباده المؤمنين فهو عزيز فى رحمته رحيم فى عزته وهذا هو الكمال ، العزة مع الرحمة والرحمة مع العزة فهو رحيم بلا ذل

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا أنه الذى أحسن خلق الأشياء وأتقنها وأحكمها . وقال مالك عن زيد بن أسلم (الذى أحسن كل شىء خلقه) قال أحسن خلق كل شىء كأنه جعله من القدم والمؤخر ، ثم لما ذكر تعالى خلق السموات والأرض شرع فى ذكر خلق الانسان فقال تعالى (وبدأ خلق الإنسان من طين) يعنى خلق أبا البشر آدم من طين (ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) أى يتناسلون كذلك من نطفة تخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة (ثم سواه) يعنى آدم لما خلقه من تراب خلقه سويا مستقيما (ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) يعنى العقول (قليلا ما تشكرون) أى بهذه القوى التى رزقكموها الله عز وجل فالسعيد من استعملها فى طاعة ربه عز وجل

﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ * قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن المشركين فى استبعادهم المعاد حيث قالوا (أئذا ضللنا فى الأرض) أى تمزقت أجسامنا وتفرقت فى أجزاء الأرض وذهبت (أئنا لفى خلق جديد) أى أئنا لنعود بعد تلك الحال ؟ يستبعدون ذلك وهذا إنما هو بعيد بالنسبة إلى قدرهم العاجزة لا بالنسبة إلى قدرة الذى بدأهم وخلقهم من العدم ، الذى إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ولهذا قال تعالى (بل هم بلقاء ربهم كافرون) ثم قال تعالى (قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم) الظاهر من هذه الآية أن ملك الموت شخص معين من الملائكة كما هو المتبادر من حديث البراء المتقدم ذكره فى سورة

إبراهيم وقد سمى فى بعض الآثار بعزرائيل وهو المشهور . قاله قتادة وغير واحد وله أعوان ، وهكذا ورد فى الحديث أن أعوانه ينتزعون الأرواح من سائر الجسد حتى إذا بلغت الحلقوم تناولها ملك الموت ، قال مجاهد: حويت له الأرض فجعلت مثل الطست يتناول منها متى يشاء . ورواه زهير بن محمد عن النبى ﷺ بنحوه مرسلا . وقاله ابن عباس رضى الله عنهما ، وروى ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا يحيى بن أبى يحيى المقرى حدثنا عمر بن سمرة عن جعفر ابن محمد قال سمعت أبى يقول : نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال له النبى ﷺ « يا ملك الموت ارفق بصاحبى فانه مؤمن » فقال ملك الموت يا محمد طب نفساً وقر عيناً فانى بكل مؤمن رفيق ، واعلم أن مافى الأرض بيت مدر ولا شعر فى بر ولا بحر إلا وأنا أتصفحهم فى كل يوم خمس مرات حتى إنى أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم ، والله يا محمد لو أنى أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الآمر بقبضها ، قال جعفر بلغنى أنه إنما يتصفحهم عند مواقيت الصلاة فاذا حضرهم عند الموت فان كان ممن يحافظ على الصلاة دنا منه الملك ودفع عنه الشيطان ولقنه الملك لا إله إلا الله محمد رسول الله فى تلك الحال العظيمة ، وقال عبد الرزاق حدثنا محمد بن مسلم عن إبراهيم بن ميسرة قال سمعت مجاهداً يقول : ماعلى ظهر الأرض من بيت شعر أومدر إلا وملك الموت يطرف به كل يوم مرتين ، وقال كعب الأحبار والله مامن بيت فيه أحد من أهل الدنيا إلا وملك الموت يقوم على بابه كل يوم سبع مرات ينظر هل فيه أحد أمر أن يتوفاه . رواه ابن أبى حاتم ، وقوله تعالى (ثم إلى ربكم ترجعون) أى يوم معادكم وقيامكم من قبوركم لجزائكم

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ * وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

يخبر تعالى عن حال المشركين يوم القيامة وقالهم حين عاينوا البعث وقاموا بين يدى الله عز وجل حقيرين ذليلين ناكسى رءوسهم أى من الحياء والخجل يقولون (ربنا أبصرنا وسمعنا) أى نحن الآن نسمع قولك ونطيع أمرك كما قال تعالى (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) وكذلك يعودون على أنفسهم بالملامة إذا دخلوا النار بقولهم (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير) وهكذا هؤلاء يقولون (ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا) أى إلى دار الدنيا (نعمل صالحاً إنا موقنون) أى قد أيقنا وتحققنا فيها أن وعدك حق ولقاءك حق ، وقد علم الرب تعالى منهم أنه لو أعادهم إلى دار الدنيا لكانوا كما كانوا فيها كفاراً يكذبون بآيات الله ويخالفون رسله كما قال تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا) الآية وقال ههنا (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) كما قال تعالى (ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً) (ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) أى من الصنفين فدارهم النار لا محيد لهم عنها ولا محيص لهم منها . نعوذ بالله وكلماته التامة من ذلك (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) أى يقال لأهل النار على سبيل التقريع والتوبيخ ذوقوا هذا العذاب بسبب تكذيبكم به واستبعادكم وقوعه وتناسيكم له إذ عاملتموه معاملة من هو ناس له (إنا نسيناكم) أى سنعاملكم معاملة الناسى لأنه تعالى لا ينسى شيئاً ولا يضل عنه شىء ، بل من باب المقابلة كما قال تعالى (فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) وقوله تعالى (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) أى بسبب كفركم وتكذيبكم كما قال تعالى فى الآية الأخرى (لا يذوقون فيها بردا ولا شراباً * إلا حميما وغساقاً * إلى قوله — فلن نزيدكم إلا عذاباً)

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * تَتَجَافَىٰ

جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى (إنما يؤمن بآياتنا) أى إنما يصدق بها (الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا) أى استمعوا لها وأطاعوها قولا وفعلا (وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون) أى عن اتباعها والانقياد لها كما يفعله الجهلة من الكفرة الفجرة ، قال الله تعالى (إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) ثم قال تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) يعنى بذلك قيام الليل وترك النوم والاضطجاع على الفرش الوطيئة ، قال مجاهد والحسن فى قوله تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) يعنى بذلك قيام الليل ، وعن أنس وعكرمة ومحمد بن المنكدر وأبى حازم وقتادة هو الصلاة بين العشاءين وعن أنس أيضا هو انتظار صلاة العتمة . رواه ابن جرير بإسناد جيد ،وقال الضحاك هو صلاة العشاء فى جماعة وصلاة الغداة فى جماعة (يدعون ربهم خوفا وطمعا)أى خوفا من وبال عقابه وطمعا فى جزيل ثوابه (ومما رزقناهم ينفقون) فيجمعون بين فعل القربات اللازمة والمتعدية ومقدم هؤلاء وسيدهم وفخرهم فى الدنيا والآخرة رسول الله ﷺ كما قال عبد الله ابن رواحة رضى الله عنه :

وفينا رسول الله يتلو كتابه * إذا انشق معروف من الصبح ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه * إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

وقال الإمام أحمد حدثنا روح وعفان قالا حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا عطاء بن السائب عن مرة الهمدانى عن ابن مسعود عن النبى ﷺ قال « عجب ربنا من رجلين : رجل ثار من وطائه ولحافه من بين حبه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندى وشفقة مما عندى ، ورجل غزا فى سبيل الله تعالى فانهزموا فعلم ما عليه من الفرار وما له فى الرجوع فرجع حتى أهريق دمه رغبة فيما عندى وشفقة مما عندى ، فيقول الله عز وجل للملائكة : انظروا إلى عبدى رجع رغبة فيما عندى ورهبة مما عندى حتى أهريق دمه» وهكذا رواه أبو داود فى الجهاد عن موسى بن إسماعيل عن حماد بن سلمة به بنحوه . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عاصم بن أبى النجود عن أبى وائل عن معاذ بن جبل قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يا نبى الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار قال« لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه ، تعبد الله ولا تشرك به شيئا. وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان، وتحج البيت ـ ثم قال :ـ ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفىء الخطيئة ، وصلاة الرجل فى جوف الليل ـ ثم قرأ ـ (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) حتى بلغ (جزاء بما كانوا يعملون) ثم قال ـ ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ ـ فقلت بلى يا رسول الله فقال ـ رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله ـ ثم قال ـ ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟» فقلت بلى يا نبى الله فأخذ بلسانه ثم قال« كف عليك هذا» فقلت يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به، فقال« ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس فى النار على وجوههم ـ أو قال على مناخرهم ـ إلا حصائد ألسنتهم» ورواه الترمذى والنسائى وابن ماجه فى سننهم من طرق عن معمر به وقال الترمذى حسن صحيح ورواه ابن جرير من حديث شعبة عن الحكم قال : سمعت عروة بن النزال يحدث عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال له« ألا أدلك على أبواب الخير : الصوم جنة والصدقة تكفر الخطيئة وقيام العبد فى جوف الليل » وتلا هذه الآية (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون) ورواه أيضا من حديث الثورى عن منصور بن المعتمر عن الحكم عن ميمون بن أبى شبيب عن معاذ عن النبى ﷺ بنحوه ومن حديث الأعمش عن حبيب بن أبى ثابت والحكم عن ميمون بن أبى شبيب

عن معاذ مرفوعا بنحوه ومن حديث حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن شهر عن معاذ أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) قال « قيام العبد من الليل » وروى ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا يزيد بن هارون حدثنا قطر بن خليفة عن حبيب بن أبي ثابت والحكم وحكيم بن جبير عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ بن جبل قال كنت مع النبي ﷺ في غزوة تبوك فقال « إن شئت نبأتك بأبواب الخير ، الصوم جنة والصدقة تطفيء الخطيئة وقيام الرجل في جوف الليل » ثم تلا رسول الله ﷺ (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) الآية ثم قال حدثنا أبي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا علي بن مسهر عن عبد الرحمن بن إسحق عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت : قال رسول الله ﷺ « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء منادفنادى بصوت يسمع الخلائق سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع ـ الآية ـ فيقومون وهم قليل » وقال البزار حدثنا عبد الله بن شبيب حدثنا الوليد بن عطاء بن الأغر حدثنا عبد الحميد بن سليمان حدثني مصعب عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : قال بلال لما نزلت هذه الآية (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) الآية كنا نجلس في المجلس وناس من أصحاب رسول الله ﷺ يصلون بعد المغرب إلى العشاء فنزلت هذه الآية (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) ثم قال لا نعلم روى أسلم عن بلال سواه وليس له طريق عن بلال غير هذه الطريق وقوله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) الآية أي فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد لما أخفوا أعمالهم كذلك أخفى الله لهم من الثواب ، جزاء وفاقا فان الجزاء من جنس العمل ، قال الحسن البصري: أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم ما لم ترعين ولم يخطر على قلب بشر . رواه ابن أبي حاتم . قال البخاري قوله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) الآية حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » قال أبو هريرة اقرءوا إن شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) قال وحدثنا سفيان حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال الله مثله . قيل لسفيان رواية قال فأي شيء ؟ ورواه مسلم والترمذي من حديث سفيان بن عيينة به وقال الترمذي حسن صحيح ثم قال البخاري حدثنا إسحق بن نصر حدثنا أبو أسامة عن الأعمش حدثنا أبو صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرا من بله ما أطلعتم عليه » ثم قرأ (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) قال أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح قرأ أبو هريرة (قرات أعين) انفرد به البخاري من هذا الوجه وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ « إن الله تعالى قال أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » أخرجاه في الصحيحين من رواية عبد الرزاق قال ورواه الترمذي في التفسير وابن جرير من حديث عبد الرحيم بن سليمان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ بمثله ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح . وقال حماد بن سلمة عن ثابت بن أبي رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال حماد أحسبه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من يدخل الجنة ينعم لا يبأس ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه ، في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به وروى الإمام أحمد حدثنا هارون حدثنا ابن وهب حدثني أبو صخر أن أبا حازم حدثه قال سمعت سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه يقول شهدت من رسول الله ﷺ مجلسا وصف فيه الجنة حتى انتهى ثم قال في آخر حديثه « فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا حطر على قلب بشر » ثم قرأ هذه الآية (تتجافى جنوبهم عن المضاجع ـ إلى قوله ـ يعملون) وأخرجه مسلم في صحيحه عن هارون بن معروف وهارون بن سعيد كلاهما عن ابن وهب به

وقال ابن جرير حدثنى العباس بن أبى طالب حدثنا معلى بن أسد حدثنا سلام بن أبى مطيع عن قتادة عن عقبة بن عبد الغافر عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يروى عن ربه عز وجل « قال أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » لم يخرجوه وقال مسلم أيضا فى صحيحه حدثنا ابن أبى عمر وغيره حدثنا سفيان حدثنا مطرف بن طريف وعبد الملك بن سعيد سمعا الشعبى يخبر عن المغيرة بن شعبة قال سمعته على المنبر يرفعه إلى النبى ﷺ قال سأل موسى عليه السلام ربه عز وجل ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال هو رجل يجىء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول أى رب كيف وقد أخذ الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول رضيت رب فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله فقال فى الخامسة رضيت ربى فيقول هذا لك وعشرة أمثاله معه ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك فيقول رضيت رب قال رب فأعلاهم منزلة قال أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها فلم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر قال ومصداقه من كتاب الله عز وجل (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) الآية ورواه الترمذى عن ابن أبى عمر وقال حسن صحيح قال ورواه بعضهم عن الشعبى عن المغيرة ولم يرفعه والمرفوع أصح قال ابن أبى حاتم حدثنا جعفر بن المداثنى حدثنا أبو بدر بن شجاع بن الوليد حدثنا زياد بن خيثمة عن محمد بن جحادة عن عامر بن عبد الواحد قال : بلغنى أن الرجل من أهل الجنه يمكث فى مكانه سبعين سنة ثم يلتفت فإذا هو بامرأة أحسن مما كان فيه فتقول له قد أنى لك أن يكون لنا منك نصيب فيقول من أنت ؟ فتقول أنا من المزيد فيمكث معها سبعين سنة ثم يلتفت فإذا هو بامرأة أحسن مما كان فيه فتقول له قد أنى لك أن يكون لنا منك نصيب فتقول من أنت ؟ فتقول أنا التى قال الله (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) وقال ابن لهيعة حدثنى عطاء ابن دينار عن سعيد بن جبير قال : تدخل عليهم الملائكة فى مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات معهم التحف من الله من جنات عدن ما ليس فى جناتهم وذلك قوله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) ويخبرون أن الله عنهم راض ، وروى ابن جرير حدثنا سهل بن موسى الرازى حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن أبى اليمان الهوزنى أو غيره قال : الجنة مائة درجة أولها درجة فضة وأرضها فضة ومساكنها فضة وآنيتها فضة وترابها المسك ، والثانية ذهب وأرضها ذهب ومساكنها ذهب وآنيتها ذهب وترابها المسك والثالثة لؤلؤ وأرضها لؤلؤ ومساكنها اللؤلؤ وآنيتها اللؤلؤ وترابها المسك وسبع وتسعون بعد ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم تلا هذه الآية (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم) الآية وقال ابن جرير حدثنى يعقوب بن إبراهيم حدثنا معتمر بن سليمان عن الحكم بن أبان عن الغطريف عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبى ﷺ عن الروح الأمين قال « يؤتى بحسنات العبد وسيئاته ينقص بعضها من بعض فان بقيت حسنة واحدة وسع الله له فى الجنة قال فدخلت على بزداد فحدث بمثل هذا الحديث قال فقلت فأين ذهبت الحسنة قال (أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم) الآية قلت قوله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) قال العبد يعمل سراً أسره إلى الله لم يعلم به الناس فأسر الله له يوم القيامة قرة أعين .

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ * أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَىٰهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِى كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ * وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾

يخبر تعالى عن عدله وكرمه أنه لا يساوى فى حكمه يوم القيامة من كان مؤمنا بآياته متبعا لرسله بمن كان فاسقا أى خارجا عن طاعة ربه مكذبا رسل الله إليه كما قال تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) وقال تعالى (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار) وقال تعالى (لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة) الآية ولهذا قال تعالى ههنا (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون) أى عند الله يوم القيامة وقد ذكر عطاء بن يسار والسدى وغيرهما أنها نزلت فى على بن أبى طالب وعقبة بن أبى معيط ولهذا فصل حكمهم فقال (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى صدقت قلوبهم بآيات الله وعملوا بمقتضاها وهى الصالحات (فلهم جنات المأوى) أى التى فيها المساكن والدور والغرف العالية (نزلا) أى ضيافة وكرامة (بما كانوا يعملون * وأما الذين فسقوا) أى خرجوا عن الطاعة فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها كقوله (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) الآية قال الفضيل بن عياض والله إن الأيدى لموثقة وإن الأرجل لمقيدة وإن اللهب ليرفعهم والملائكة تقمعهم (وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) أى يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا . وقوله تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر) قال ابن عباس يعنى بالعذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتها ومايحل بأهلها مما يبتلى الله به عباده ليتوبوا إليه ، وروى مثله عن أبى بن كعب وأبى العالية والحسن وإبراهيم النخعى والضحاك وعلقمة وعطية ومجاهد وقتادة وعبد الكريم الجزرى وخصيف ، وقال ابن عباس فى رواية عنه يعنى به إقامة الحدود عليهم . وقال البراء بن عازب ومجاهد وأبو عبيدة يعنى به عذاب القبر ، وقال النسائى أخبرنا عمرو بن على أخبرنا عبد الرحمن بن مهدى عن إسرائيل عن أبى إسحاق عن أبى الأحوص وأبى عبيدة عن عبد الله (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر) قال سنون أصابتهم، وقال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنى عبد الله بن عمر القواريرى حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن قتادة عن عروة عن الحسن العوفى عن يحيى بن الجزار عن ابن أبى ليلى عن أبى بن كعب فى هذه الآية (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر) قال القمر والدخان قد مضيا والبطشة واللزام ، ورواه مسلم من حديث شعبة به موقوفا نحوه وعند البخارى عن ابن مسعود نحوه ، وقال عبد الله بن مسعود أيضا فى رواية عنه العذاب الأدنى ما أصابهم من القتل والسبى يوم بدر . وكذا قال مالك عن زيد بن أسلم قال السدى وغيره لم يبق بيت بمكة إلا دخله الحزن على قتيل لهم أو أسير فأصيبوا أو غرموا ومنهم من جمع له الأمران . وقوله تعالى (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها) أى لا أظلم ممن ذكره الله بآياته وبينها له ووضحها ثم بعد ذلك تركها وجحدها وأعرض عنها وتناساها كأنه لا يعرفها . قال قتادة: إياكم والاعراض عن ذكر الله فان من أعرض عن ذكره فقد اغتر أكبر الغرة وأعوز أشد العوز وعظم من أعظم الذنوب ، ولهذا قال تعالى متهددا لمن فعل ذلك (إنا من المجرمين منتقمون) أى سأنتقم ممن فعل ذلك أشد الانتقام . وروى ابن جرير حدثنى عمران بن بكار الكلاعى حدثنا محمد بن المبارك حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا عبد العزيز بن عبيد الله عن عبادة بن نسى عن جنادة بن أمية عن معاذ بن جبل قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاث من فعل واحدة منهن فقد أجرم ، من عقد لواء فى غير حق أو عق والديه أو مشى مع ظالم ينصره فقد أجرم يقول الله تعالى (إنا من المجرمين منتقمون) ورواه ابن أبى حاتم من حديث إسماعيل ابن عياش به وهذا حديث غريب جداً .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ * وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله موسى عليه السلام أنه آتاه الكتاب وهو التوراة ، وقوله تعالى (فلا تكن فى مرية من لقائه) قال قتادة يعنى به ليلة الإسراء ثم روى عن أبى العالية الرياحى قال حدثنى ابن عم نبيكم يعنى ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « أريت ليلة أسرى بى موسى بن عمران رجلا آدم طوالا جعداً كأنه من رجال شنوأة . ورأيت عيسى رجلا مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس ، ورأيت مالكا خازن النار والدجال » فى آيات أراهن الله إياه (فلا تكن فى مرية من لقائه) أنه قد رأى موسى وفى موسى ليلة أسرى به .

وقال الطبرانى حدثنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة حدثنا الحسن بن على الحلوانى حدثنا روح بن عبادة حدثنا سعيد ابن أبى عروبة عن قتادة عن أبى العالية عن ابن عباس عن النبى ﷺ فى قوله تعالى (وجعلناه هدى لبنى إسرائيل) قال جعل موسى هدى لبنى إسرائيل وفى قوله (فلا تكن فى مرية من لقائه) قال من لقاء موسى ربه عز وجل وقوله تعالى (وجعلناه) أى الكتاب الذى آتيناه (هدى لبنى إسرائيل) كما قال تعالى فى سورة الإسراء (وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل أن لاتتخذوا من دونى وكيلا) وقوله تعالى (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) أى لما كانوا صابرين على أوامر الله وترك زواجره وتصديق رسله واتباعهم فيما جاءوهم به كان منهم أئمة يهدون إلى الحق بأمر الله ويدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ثم لما بدلوا وحرفوا وأولوا سلبوا ذلك المقام وصارت قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه فلا عمل صالحا ولا اعتقادا صحيحاً ولهذا قال تعالى (ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب) قال قتادة وسفيان لما صبروا عن الدنيا وكذلك قال الحسن ابن صالح قال سفيان هكذا كان هؤلاء ولاينبغى للرجل أن يكون إماما يقتدى به حتى يتحامى عن الدنيا ، قال وكيع قال سفيان لابد للدين من العلم كما لابد للجسد من الخبز وقال ابن بنت الشافعى: قرأ أبى على عمى أو عمى على أبى سئل سفيان عن قول على رضى الله عنه الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ألم تسمع قوله (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا) قال لما أخذوا برأس الأمر صاروا رؤوسا قال بعض العلماء بالصبر واليقين تنال الامامة فى الدين ولهذا قال تعالى (ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الأمر) الآية كما قال هنا (إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) أى من الاعتقادات والأعمال

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ* أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَاءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾

يقول تعالى أولم يهد لهؤلاء المكذبين بالرسل ما أهلك الله قبلهم من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم إياهم فيما جاءوهم به من قويم السبل فلم يبق منهم باقية ولا عين ولا أثر (هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً) ولهذا قال (يمشون فى مساكنهم) أى وهؤلاء المكذبون يمشون فى مساكن أولئك المكذبين ، فلا يرون فيها أحدا ممن كان يسكنها ويعمرها ذهبوا منها (كأن لم يغنوا فيها) كما قال (فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا) وقال (وكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد* أفلم يسيروا فى الأرض — إلى قوله — ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) ولهذا قال ههنا (إن فى ذلك لآيات) أى إن فى ذهاب أولئك القوم ودمارهم وماحل بهم بسبب تكذيبهم الرسل ونجاة من آمن بهم لآيات وعبرا ومواعظ ودلائل متناظرة (أفلا يسمعون) أى أخبار من تقدم كيف كان أمرهم وقوله تعالى (أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز) يبين تعالى لطفه بخلقه وإحسانه إليهم فى إرساله الماء إما من السماء أو من السيح وهو ماتحمله الأنهار وينحدر من الجبال إلى الأراضى المحتاجة اليه فى أوقاته ولهذا قال تعالى (إلى الأرض الجرز) وهى التى لانبات فيها كما قال تعالى (وإنا لجاعلون ماعليها صعيداً جرزاً) أى

يبساً لاتنبت شيئاً ، وليس المراد من قوله (إلى الأرض الجرز) أرض مصر فقط بل هي بعض المقصود وإن مثل بها كثير من المفسرين فليست هي المقصودة وحدها ولكنها مرادة قطعا من هذه الآية فانها في نفسها أرض رخوة غليظة تحتاج من الماء مالو نزل عليها مطراً لتهدمت أبنيتها فيسوق الله تعالى إليها النيل بما يتحمله من الزيادة الحاصلة من أمطار بلاد الحبشة وفيه طين أحمر فيغشى أرض مصر وهي أرض سبخة مرملة محتاجة إلى ذلك الماء ، وذلك الطين أيضا لينبت الزرع فيه فيستغلون كل سنة على ماء جديد ممطور في غير بلادهم وطين جديد من غير أرضهم فسبحان الحكيم الكريم المنان المحمود أبداً ، قال ابن لهيعة عن قيس بن حجاج عمن حدثه قال : لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص وكان أميرا بها حين دخل بؤونة من أشهر العجم فقالوا أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة لايجرى إلا بها . قال وماذاك قالوا إذا كانت ثنتا عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها في هذا النيل فقال لهم عمرو إن هذا لا يكون في الإسلام ، إن الإسلام يهدم ما كان قبله فأقاموا بؤونة والنيل لايجرى حتى هموا بالجلاء فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك فكتب اليه عمر إنك قد أصبت بالذى فعلت ، وقد بعثت إليك ببطاقة داخل كتابي هذا فألقها في النيل فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة ففتحها فإذا فيها : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر أما بعد فإنك إن كنت إنما تجرى من قبلك فلا تجرى ، وإن كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله أن يجريك . قال فألقى البطاقة في النيل فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة ، وقد قطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم . رواه الحافظ أبو القاسم اللالكائي الطبري في كتاب السنة له . ولهذا قال تعالى (أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون) كما قال تعالى (فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا) الآية ولهذا قال ههنا (أفلا يبصرون) وقال ابن أبي نجيح عن رجل عن ابن عباس في قوله (إلى الأرض الجرز) قال هي التي لاتمطر إلا مطرا لايغني عنها شيئا إلا ما يأتيها من السيول ، وعن ابن عباس ومجاهد هي أرض باليمن ، وقال الحسن رحمه الله هي قرى فيما بين اليمن والشام . وقال عكرمة والضحاك وقتادة والسدى وابن زيد الأرض الجرز التي لانبات فيها وهي مغبرة قلت وهذا كقوله تعالى (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها) الآيتين

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ * فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن استعجال الكفار ووقوع بأس الله بهم وحلول غضبه ونقمته عليهم استبعادا وتكذيبا وعنادا (ويقولون متى هذا الفتح) أى متى تنصر علينا يا محمد ؟ كما تزعم أن لك وقتاً تدال علينا وينتقم لك منا فمتى يكون هذا مالك أنت وأصحابك إلا مختفين خائفين ذليلين قال الله تعالى (قل يوم الفتح) أى إذا حل بكم بأس الله وسخطه وغضبه في الدنيا وفي الأخرى (لاينفع الذين كفروا إيمانهم ولاهم ينظرون) كما قال تعالى (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم) الآيتين . ومن زعم أن المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أبعد النجعة ، وأخطأ فأفحش ، فان يوم الفتح قد قبل رسول الله ﷺ إسلام الطلقاء وقد كانوا قريباً من ألفين ، ولو كان المراد فتح مكة لما قبل إسلامهم لقوله تعالى (قل يوم الفتح لاينفع الذين كفروا إيمانهم ولاهم ينظرون) وإنما المراد الفتح الذى هو القضاء والفصل كقوله (افتح بيني وبينهم فتحا) الآية وكقوله (قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق) الآية وقال تعالى (واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد) وقال تعالى (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) وقال تعالى (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) ثم قال تعالى (فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون) أى أعرض عن هؤلاء المشركين وبلغ ما أنزل إليك من ربك كقوله تعالى (اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو) الآية وانتظر فان الله سينجز لك

ما وعدك وسينصرك على من خالفك إنه لا يخلف الميعاد وقوله (إنهم منتظرون) أى أنت منتظر وهم منتظرون ويتربصون بكم الدوائر (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون) وسترى أنت عاقبة صبرك عليهم وعلى أداء رسالة الله فى نصرتك وتأييدك وسيجدون غب ما ينتظرونه فيك وفى أصحابك من وبيل عقاب الله لهم وحلول عذابه بهم وحسبنا الله ونعم الوكيل آخر تفسير سورة السجدة ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الاحزاب وهى مدنية ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا خلف بن هشام حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن زر قال : قال لى أبى بن كعب كأين تقرأ سورة الأحزاب أو كأين تعدها ؟ قال قلت ثلاثاً وسبعين آية فقال قط لقد رأيتها وإنها لتعادل سورة البقرة ولقد قرأنا فيها الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ورواه النسائى من وجه آخر عن عاصم وهو ابن أبى النجود وهو أبو بهدلة به ، وهذا إسناد حسن وهو يقتضى أنه قد كان فيها قرآن ثم نسخ لفظه وحكمه أيضا والله أعلم

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾

هذا تنبيه بالأعلى على الأدنى فانه تعالى إذا كان يأمر عبده ورسوله بهذا فلأن يأمر من دونه بذلك بطريق الأولى والأحرى ، وقد قال طلق بن حبيب : التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله مخافة عذاب الله . قوله تعالى (ولا تطع الكافرين والمنافقين) أى لا تسمع منهم ولا تستشرهم (إن الله كان عليما حكيما) أى فهو أحق أن تتبع أوامره وتطيعه فانه عليم بعواقب الأمور حكيم فى أقواله وأفعاله ولهذا قال تعالى (واتبع ما يوحى إليك من ربك) أى من قرآن وسنة (إن الله كان بما تعملون خبيرا) أى فلا تخفى عليه خافية وتوكل على الله أى فى جميع أمورك وأحوالك (وكفى بالله وكيلا) أى وكفى به وكيلا لمن توكل عليه وأناب إليه

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ * ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

يقول تعالى موطئا قبل المقصود المعنوى أمرا معروفا حسيا وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان فى جوفه ولا تصير زوجته التى يظاهر منها بقوله أنت على كظهر أمى أما له ، كذلك لا يصير الدعى ولدا للرجل إذا تبناه فدعاه ابنا له فقال (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم) كقوله عز وجل (ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائى ولدنهم) الآية . وقوله تعالى (وما جعل أدعياءكم أبناءكم) هذا هو المقصود بالنفى فانها نزلت فى شأن زيد بن حارثة رضى الله عنه مولى النبى صلى الله عليه وسلم ، كان النبى صلى الله عليه وسلم قد تبناه قبل النبوة فكان يقال له زيد بن محمد فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الالحاق وهذه النسبة بقوله تعالى (وما جعل أدعياءكم وأبناءكم) كما قال تعالى فى أثناء السورة (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين